المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:05، العدد:01 (2021)، ص105-124

البربر الموالي في دولة الخلافة ودورهم في الحياة العامة حتّى منتصف القرن الثامن ميلادي

The Berbers mawali role within Caliphate until mid-eighth century

منصف مباركية
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة (الجزائر)
Hippone_cityboy@hotmail.com

معلومات المقال

تاريخ الارسال:
2021/05/11
تاريخ القبول:
2021/06/01

الكلمات المفتاحية:
- ✓ البربر
- ✓ الموالي
- ✓ الولاء
- ✓ الخلافة

الملخص:

شكّلت فئة الموالي، ذات الأصول المتنوعة، في المجتمع الإسلامي محور العديد من الدراسات، وكان موقف الدولة منهم ودورهم في الحياة العامة بالتحديد احدى أكثر الإشكاليات اثارة للجدل التي استرعت اهتمام الدارسين، وهذا المقال يتعرّض بدوره لهذه الإشكالية من زاوية محدّدة عبر دراسة فئة معينة فقط من الموالي، وهم العناصر البربرية، وذلك بهدف إبراز دورهم واسهاماتهم في الدولة والمجتمع الإسلاميين حتّى منتصف القرن الثامن ميلادي. لقد أتاح نظام الولاء للعديد من البربر الاندماج في المنظومتين العسكرية والاجتماعية وأيضا الإدارية للخلافة، ما سمح لهم بلعب دور معتبر بل ومؤثر في بعض الأحيان في مختلف مجالات الحياة، فكان منهم قادة الجيوش، وموظفين اداريين في مناصب حسّاسة ومهمّة ضمن الهيكل الاداري للدولة، وحتّى فاعلين في الحياة الأدبية والعلمية.

Article info

Received:
11/05/2021
Accepted:
01/06/2021

Key words:
- ✓ Berbers
- ✓ Mawali
- ✓ wala
- ✓ Caliphate

Abstract :

A great deal has been written about the Mawali (Clients), this subject in fact has been a topic of many studies, and so rather than repeat what already has been said ; we propose here to deal only with one group ; which are the Berbers mawali; in aim to highlight their role within the Caliphate from the conquest of north Africa to the mid-eighth century. This paper demonstrate that Berbers mawali had a very important role, both in the state and Arab-Muslim society, many of them were apointed army generals, administrators in sensitive positions, while others were active in literary and scientific matters.

مقدمة

لقد شكّل الفتح الإسلامي لشمال افريقيا نقلة جديدة لشعوب المنطقة التّي أصبحت جزء من دولة متعدّدة القوميّات والأجناس، وقد سمح اعتناق الاسلام ونظام الولاء للكثير من البربر، بشكل جماعي أو فردي، الارتباط بعلاقات قوية مع العرب، ما ساعدهم على الاندماج في المجتمع الإسلامي والمساهمة في مختلف فعالياته خاصة أنّ الإسلام ينصّ على الأخوة في الدين والمساواة بين جميع المسلمين، وتدور إشكالية هذا الموضوع حول دور فئة الموالي من البربر واسهاماتهم في الحياة العامة خلال صدر الإسلام والعهد الأموي؟ وذلك من خلال تتبّع حضورهم ومساهمتهم في ثلاث مجالات مختلفة هي: الدور العسكري، والإدارة، والحركية الأدبية والعلمية، بهدف ابراز تفاعل هذا العنصر غير العربي في المجتمع الجديد الذي أصبح ينتمي إليه، وأثره في الأحداث التي عاشتها الدولة الإسلامية حتّى منتصف القرن الثامن ميلادي من بين مجموعة الموالي متنوّعة الأصول ضمن الأمّة الإسلامية خاصة الفرس منهم، الذين يمكن من خلال الأخبار التي ترويها المصادر ملاحظة حضورهم القوي باعتبارهم الموالي الأوائل الذين برزوا في خدمة العرب والدولة الاسلامية منذ صدر الإسلام بعد أن تمّ فتح بلادهم مبكرا، كما أنّهم كانوا أكثر عددا ويتركزون في قلب دولة الخلافة ومراكز القرار فيها أو بالقرب منها ما منحهم أفضلية على غيرهم، بمن فيهم البربر.

إنّ هذا الموضوع في الحقيقة ليس مستجدا أو مبتكرا تماما، فقد حظي باهتمام خاص من طرف الباحثين المهتمّين بالدراسات الحضارية والاجتماعية منذ منتصف القرن العشرين على الأقل عندما أصدر الأستاذ محمد الطيب النجار كتابه "**الموالي في العصر الأموي**"، لكنّهم مع ذلك تناولوه بشكل عام دون التطرّق لعنصر محدّد من الموالي كما نريد أن نقدّم في هذا البحث، من خلال التركيز على دور البربر تحديدا، رغم صعوبة المهمّة في ظلّ شحّ المادة الخبرية في المصادر الأوّلية التي لا تبدي اهتماما بتسجيل أحداث وأحوال المغرب الإسلامي وأهله إلّا بقدر يسير مقارنة مع تركيزها الطاغي على تدوين أحداث المركز والمشرق بالشخصيات الفاعلة فيها، ما يمثّل تحدّيا كبيرا بالنسبة للباحثين المهتمّين بدراسة تاريخ هذا الفضاء الجغرافي وسكانه في الفترة الإسلامية المبكّرة. وقد اخترت تحديد المجال الزمني للموضوع حتّى منتصف القرن الثامن ميلادي أساسا لعاملين: أوّلهما لأنّه يمثّل الفترة المبكّرة لاندماج البربر في الدولة الإسلامية بعد إتمام فتح بلادهم مطلع هذا القرن (أواخر القرن الأول هجري)، وثانيهما لما يروّج له في بعض الدراسات عن البيئة والمواقف السلبية والعنصرية تجاه الموالي خلال العصر الأموي. من أجل معالجة الإشكالية المطروحة والوصول للأهداف المرجوّة تمّ جمع الأخبار ورصد الإشارات المتفرّقة المتعلّقة بموضوعنا من مختلف المصادر سواء كانت كتب التاريخ العام أو الطبقات، ومن ثمّ العمل على تحليلها وتوظيفها بما يتوافق مع الغاية من الموضوع، من أجل اخراج دراسة موضوعية متكاملة.

1. مفهوم الموالي وأحكامهم

الموالي في لغة العرب تحمل عدة معاني، فهم ورثة الرجل، وبنو عمّه، وهم العَصَبة، والمولى يحمل عدة أوجه من المعنى أيضا فهو الحليف، والمُعتَق ينتسب إلى سيده، والناصر، والحليف، والجار، والشريك، وابن

الأخت، وابن العم، والعبد، ويأتي أيضا بمعنى السيد، والمالك، والمُنعم، والمُعتِق [1]، فهو يحتمل بالتّالي معنيين متعاكسين في نفس الوقت، إذ يطلق على السيد والتابع معا، ويهمّنا في هذا الموضوع المعنى الثاني بالتحديد، أمّا الولاء فيعني من خلال هذه المعاني عموما المصادقة، والمناصرة، والقرب، والحب، والتبعية [2]. وفي الشرع الإسلامي تأتي كلمة المولى بمعنيين: المُعتَق الذي كان عبدا فأعتقه سيده فينتسب إليه بالولاء ويسمّى مولى العتاقة، والحليف الذي ينتمي لآخر بالمخالطة أو بالخدمة أو بالمحالفة فينسب إليه ويسّمى مولى الموالاة [3].

إنّ نظام الولاء كان معروفا عند العرب قبل الإسلام ويعتبر من الأعراف القبلية التي كان معمولا بها ويشمل أنواعا متعددة مثل ولاء الحلف، والجوار، والرق، والعتق [4]، ولم يبطل الإسلام نظام الولاء بل وثبت عن الرسول ﷺ أحاديث يؤكّد فيها على لحمة العلاقة بين المولى ومولاه، لكنّ الإسلام مع ذلك أحدث بعض التعديلات على هذا النظام مثل إبطال الولاء بين المسلمين وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى، كما تمّ إبطال ولاء الحلف والجوار بين القبائل العربية استبعادا لقيام تكتّلات بينها يمكن أن تهدّد وحدة الأمّة العربية في ظل الاسلام [5].

وعليه اقتصر الولاء في ظلّ الإسلام على ثلاث أنواع هي: ولاء الرق بين المالك وعبده ويبقى هذا الولاء قائما مادام العبد مُلكا لسيده [6]، فإذا أعتقه لسبب من الأسباب يصبح الولاء في هذه الحالة ولاء العتاقة أو ولاء النعمة لأنّ سيده أنعم عليه فأعتقه [7]، والمولى الذي يتمّ اعتاقه يترك الانتساب إلى أهله وينتسب إلى مولاه أو قبيلته [8]، أمّا النوع الثالث من الولاء فهو ولاء الموالاة أو ولاء الحلف ويكون بين العربي المسلم الذي يسلم على يديه الرجل فيواليه، أو بين قبيلة عربية وبين جماعة من المسلمين الأحرار من غير العرب [9]، ويمكن اعتبار هذا الولاء (الحلف) الأخير طوعي يبادر إليه الموالي من أجل أن يحظوا بمكان في المنظومة المجتمعية التي تلعب فيها القبيلة دورا كبيرا، كما أنّهم يحصلون بهذا الحلف على الحماية اللازمة، ويدعمون بدورهم مكانة حلفائهم من العرب [10]. وخلال العهد الأموي أصبح معنى كلمة الموالي أكثر شمولا، حيث أصبحوا يطلقون هذا اللفظ على كلّ مسلم غير عربي [11]، بما في ذلك أولئك الذين كانوا أحرارا أصلا (لم يكونوا عبيدا ولا عتقاء) ولم تربطهم بالعرب المسلمين رابطة الحلف والموالاة إلّا ما يجمعهم من الأخوّة في الدين [12].

وقد كان الموالي الذين يمثّلون جزء معتبرا من الأمة الإسلامية ينحدرون من أصول متنوعة، وكان لهم حضور مؤثّر في الكثير من مجالات الحياة العامة للمجتمع والدولة الإسلاميين، وفي هذا الموضوع سنتحدث عن دور الموالي البربر حصرا مع محاولة تحديد نوع الولاء الخاص بكل حالة بالاعتماد على الاشارات المتوفّرة في المصادر تصريحا أو تلميحا.

2. دور الموالي البربر في الجانب العسكري

كان البربر عمليّا من أولى الشعوب غير العربية الذين فتحت بلادهم وسمحت لهم الخلافة بتشكيل جيش خاص بهم في مناطق استقرارهم، كما أنّها أتاحت لهم قبل ذلك فرص الانخراط في الجيوش الإسلامية ومشاركتها العمليات العسكرية في منطقة المغرب ضد الروم وغيرهم، حيث منحوا منذ الفتح، خلافا للشعوب الأخرى التي خضعت للمسلمين، منزلة مساوية للعرب بمجرد اعتناقهم الإسلام وانخراطهم في الجيوش العربية [13]، وقد بدأوا

مشاركة العرب حملاتهم في افريقية والمغرب منذ وقت مبكّر حين انضموا إلى جيش عقبة بن نافع المكلّف بفتح المنطقة منتصف القرن الأول هجري [14]، ويبدو أنّ هؤلاء العناصر ضمن الجيش العربي كانوا أساسا من بربر برقة أين كان عقبة مقيما عندما ولّاه معاوية بن أبي سفيان فتح افريقية [15]، وتفيدنا المصادر لاحقا أنّ قوّات المسلمين بإفريقية تحت قيادة زهير بن قيس التّي واجهت كسيلة أواخر سنة 69هـ كانت تضمّ ألفي عنصر من البربر من بين ستة آلاف فارس [16] ما يمثل ثلث قوام الجيش، كما أنّ جيش المسلمين بقيادة حسان بن النعمان بعد ذلك الذي قاتل به الكاهنة وهزمها كان يضمّ فرقة من المقاتلين البربر تحدد المصادر انتمائهم إلى عناصر البُتر [17]، حتّى أنّها حفظت لنا بشكل استثنائي اسم أحد القادة من بينهم، يدعى هلال بن ثَرْوان اللُّواتي، الذي جعله حسان بن النعمان على مقدمة الجيش بجانب قائدين عربيين آخرين [18]، وعلى الأرجح أنّ هذا القائد البربري قد انضمّ إليه مع العناصر البربرية من برقة أو سار للالتقاء به في طرابلس قبل التوغّل في افريقية والمغرب، ومن خلال نسبه نعلم أنّه من قبيلة لواتة وكان على الأرجح مولى موالاة إذ لا ينتسب إلى أي شخصية أو قبيلة عربية، وما يمكن أن يدعم هذا الطرح أن قبيلة لواتة كانت تستوطن برقة حين بلغت فتوحات المسلمين المنطقة، وفشا فيهم الإسلام منذ ولاية عمرو بن العاص الأولى على مصر في خلافة عمر بن الخطاب [19].

غير أنّ أهمّ خطوة اتخذها العرب لإدماج البربر في هيكل المنظومة العسكرية في المنطقة وزيادة حجم مشاركتهم ودورهم في الجيوش الاسلامية جاءت على يد حسان بن النعمان بعد أن قضى على مقاومة الكاهنة، حين قام بتشكيل جيش كامل من البربر يتكوّن من اثنا عشر ألف فارس من مختلف القبائل كان قد اشترطهم عليهم مقابل الصلح فأسلموا على يديه، ثمّ أسند قيادة هذا الجيش إلى ابني الكاهنة فجعل كل واحد منهما على ستة آلاف فارس، فاشتركوا مع العرب في فتح المغرب وقتال الروم ومن كفر من البربر [20]، وانضمام هؤلاء البربر إلى المسلمين على شكل رهائن واسلامهم على يد حسان بن النعمان يجعل منهم حسب التقاليد العربية موالي للمسلمين، وقد تمّ وضع هذا الجيش لاحقا بأمر موسى بن نصير تحت قيادة طارق بن زياد في طنجة [21]، وهو الذي سيقوم بالجهد الرئيسي في عمليات فتح الأندلس لاحقا، بل كان عمليا هو من قام بأمر فتحها، ليبصم على دور حاسم وخالد قام به البربر في نشر الإسلام ومد السيادة الإسلامية إلى مناطق جديدة أسوة بما قام به العرب من قبل خلال الفتوحات الكبرى، وكانت هذه التجربة في الحقيقة غير مسبوقة واستثنائية حتّى أنّ الأستاذ عبد العزيز سالم لم يفُته تدوين هذه الملاحظة عندما أشار إلى أنّ: «هذه هي المرّة الأولى في تاريخ الفتوح العربية التي يتولّى فيها جيش بأكمله من المغلوبين فتح قطر من الأقطار الكبرى كالأندلس» [22].

لم تكن هناك شخصية بربرية استطاعت أن تتبوأ مكانة مرموقة في الهيكل العسكري والإداري لدولة الخلافة وتترك أثرا بالغا في التاريخ الإسلامي كما فعل طارق بن زياد، بما حقّقه من إنجازات وأمجاد، ورغم سيرته المميّزة إلّا أنّ المصادر تهمل تماما تقديم ترجمة وافية عن حياته، والمعلومات الّتي تأتي بها في هذا الشأن شحيحة ويعتريها الكثير من التضارب خاصة فيما يتعلق باسمه وأصله وانتماءه [23]، وهذا في حدّ ذاته له دلالاته القويّة حول ترجيح احتمال أصوله غير العربية، إذ أنّ المصادر تهتمّ بتدوين أعمال وسير أشخاص مغمورين وأقل شهرة

وتوفيقا من طارق بن زياد، فقط لأنهم من العرب ولأنّ قبائلهم قد حفظت بعض أخبارهم ومنجزاتهم للاعتزاز بها ودعم مكانتها بين غيرها من القبائل العربية الأخرى، ورغم اجماع معظم المصادر حول أصوله البربرية، إلّا أنّ الوحيد الذي قدّم سلسلة نسبه الكامل وانتماءه البربري كان ابن عذاري المراكشي نقلا عن صالح بن أبي صالح حيث قضى بانتسابه إلى قبيلة نفزة [24]، وهو ما يؤكّد عليه أيضا مؤلف كتاب تاريخ الأندلس [25]، في حين ذكر الادريسي أنه من قبيلة زناتة [26]، ورغم أنّ طارق بن زياد كان في الحقيقة من مسلمي البربر إلّا أنّنا لا نستطيع للأسف التأكّد من صحّة سلسلة النسب التّي أوردها ابن عذاري، إذ لا نجد ما يدعمها في المصادر المبكّرة، كما أنّه يعطي اسما عربيا حتّى لجده (عبد الله)، وربّما على هذا الأساس تذهب بعض الدراسات الحديثة إلى أنّ طارق بن زياد ينحدر من جد (اسمه عبد الله) كان قد أسلم على يد عقبة بن نافع [27]، لكن ابن عذاري يرجع ويقول أنّ زيادا كان من سبي البربر [28]، ولا ندري كيف يتمّ سبي شخص ينحدر من أب وجد مسلمين وربما كانا دخلا في خدمة العرب كذلك ما مهّد لطارق فرص الاتصال والانضمام إلى قادة الفتح (موسى بن نصير) لاحقا، كما أنّ ولاء طارق لموسى يتضارب مع حتمية ولاء جده لعقبة باعتباره أسلم على يديه.

وما نعرفه عن أخباره المبكّرة أنّه كان مع موسى بن نصير حين قدم واليا على افريقية والمغرب وشارك معه في قتال البربر وفتح مدنهم حتّى بلغا طنجة وكان على مقدمة جيشه [29]، ويفهم من رواية صاحب كتاب أخبار مجموعة أنّه كان حينها في افريقية عندما قدم ابن نصير فانضمّ إليه [30]، ثم خلّفه موسى واليا على طنجة حين انصرف إلى القيروان، وجعل معه عددا قليلا من العرب واثنا عشر ألف فارس من البربر الذين كان حسان بن النعمان قد ضمّهم من قبل وأسلموا على يديه [31]، وقد أتاحت هذه الوضعية لطارق أن يلعب دورا مهما في التاريخ الإسلامي بعدها، فقد كان مشرفا على منطقة واسعة ومهمّة ومسؤولا عن جيش كامل ضخم ومتجانس مع حرية مطلقة في اتخاذ القرار، وهذه الحالة في حدّ ذاتها فريدة من نوعها حيث لا نسجّل أنّ العرب قد منحوا أحدا من شخصيات شعوب البلدان المفتوحة هذه الامتيازات في القيادة والولاية من قبل. وقد بدأ بعدها اسم طارق يتردّد بشكل منتظم أكثر في المصادر، حيث استطاع أن يربط اتصالات ودّية مع حاكم سبتة يُليان ما كان سببا في تسهيل عبوره إلى الأندلس وفتحها سنة 92هـ مع جيشه من البربر [32] قبل أن يلحق به موسى بن نصير من القيروان مع قادة العرب وجيوشهم في رجب 93هـ [33] متمّا لِما بدأه طارق وجيش البربر، ولسنا هنا في معرض سرد تفاصيل الفتح وأحداثه فهي معلومة ومشهورة، بقدر ما نريد ابراز دور البربر في هذا الحدث العظيم الذي تمّ التخطيط له وتنفيذه على يد هؤلاء المسلمين غير العرب [34]، ولا تخفي الأخبار المتعلّقة بفتح الأندلس ما اتّصف به البربر من شجاعة وبطولة وتشبّع بروح الجهاد واستعداد كبير للتضحية في سعيهم لنشر الإسلام في أوربا، حيث استطاعوا تحطيم جيش القوط الذي يفوقهم أضعافا في معركة وادي لكة [35]، كما تظهر أيضا ذكاء وحنكة قائدهم طارق وسرعة تصرّفه بعد المعركة، من خلال استثماره في نتيجتها العسكرية والمعنوية لتوجيه ضربة قاضية لمن بقي من قوّات العدو، حيث سارع إلى استهداف فلول جيش القوط الذين توجّهوا إلى مدينة إستجة للاحتماء بها فهزمهم [36]، ثمّ قام بتفريق السرايا للاستيلاء على المدن الرئيسية في جنوب الأندلس، فأرسل مغيث

مولى عبد الملك بن مروان في سبعمائة فارس ففتح قرطبة وكانت من أعظم مدنهم [37]، وبعث بقوّات أخرى إلى مالقة وغرناطة فافتتحوهما [38]، في حين توجّه هو بالجيش الرئيسي إلى طيلطلة عاصمة القوط فأخضعها [39]، وهكذا استطاع أن يؤمّن مكاسبه ويمهّد الظروف للفتح الكامل لشبه الجزيرة الإيبيرية، من خلال إعدامه فرصة تجمع بقايا قوّات القوط في العاصمة واعادة تنظيم صفوفهم.

وقد تولّى، باعتباره قائد الجيش امارة الأندلس، بعد فتحها، سنة كاملة حتّى قدوم موسى بن نصير [40]، قبل أن يتوجّها معا إلى دمشق بعد استدعائهما من طرف الوليد بن عبد الملك [41]، الذي كافأ هذا القائد البربري نظير إنجازه الكبير في الأندلس [42]، ويبدو أنّ طارق قد عزّز مركزه عند الأسرة المروانية في دمشق وارتفعت أسهمه هناك حيث تشير المصادر إلى اعجاب الوليد بفطنته [43] كما أنّه كان على وشك أن يحظى بسيرة مميزة عندما همّ سليمان بن عبد الملك، الذي تولّى الخلافة بعد الوليد، بتعيينه واليا على الأندلس قبل أن يعدل عن قراره بتأثير من مكيدة دبّرها مغيث مولى عبد الملك، الذي عظّم أمر نفوذ طارق بين البربر وطاعتهم له عند سليمان حين استشاره في الأمر [44]، ما أثار الشكوك والهواجس في نفس الخليفة. وقد انقطعت بعد ذلك أخبار طارق بن زياد تماما في المصادر فلا نعلم كيف وأين أمضى بقية حياته. ومن البربر الذين اشتهروا أيضا في فتوح الأندلس، طريف بن مالك المكنى أبو زرعة، الذي قاد حملة تضم بضع مئات من الجنود لاختبار البلاد واستطلاع أحوالها، قبل الحملة الرئيسية بقيادة طارق بن زياد، حيث عبر المضيق بمساعدة حاكم سبتة يُليان واستهدف منطقة تعرف بالجزيرة الخضراء في سنة 91هـ أين حقّق نتائج جيّدة حيث استطاع أن يعود بعدد وافر من الغنائم والسبى [45]. وقد كان لهذه الحملة دور حيويّ في التحمّس لفتح الأندلس فقد أكّدت نجاحات طريف هشاشة الوضع العسكري والسياسي للقوط وشجّعت المسلمين بعد النتائج التّي حققها وسعة الغنائم التّي حصّلها [46].

وفي المشرق اشتهر أيضا بعض البربر بأدوار عسكرية هناك في خدمة الخلافة بفضل مهاراتهم وكفاءتهم القيادية والقتالية، منهم الوضّاح الذي كان مولى لبني أمية حسبما تذكر نجدت خماش [47] وإن كانت المصادر لا تصرّح بشيء في هذا الخصوص إلّا أنّ حضوره الدائم في الأحداث التي شارك فيها أمراء البيت المرواني من جهة، واشارة المصادر إلى أنّ ابنه عمرو كان من قوّاد بني أمية [48] من جهة أخرى يمكن أن يؤكّد ما ذهبت إليه نجدت خماش، وفيما يتعلّق بانتمائه العرقي الذي تغفل المصادر الإشارة إليه تماما أيضا، يمكننا الأخذ بما ذهب إليه ياقوت الحموي بالاستناد إلى إشارة وردت في بيت شعر لجرير ينسب فيها الوضّاح إلى أصول بربرية [49]، وكان الوضّاح هذا قائدا لفرقة عسكرية تُنسب إليه، تعرف بالوضّحاية، شاركت في الكثير من الأحداث العسكرية في المشرق، كما كان لها دور فعّال أيضا في قتال الروم ضمن حملات الصوائف الموسمية، وقد تلقّى الوضّاح اشادة كبيرة في الشام نظير جهوده في خدمة الخلافة حتّى أنّ جريرا الشاعر أثنى عليه وخصّه بالمدح في بيت شعر ضمن قصيدته (ضاربو هام الملوك) التّي نظمها في أواخر عهد يزيد بن عبد الملك رغم ما كان يعرف عنه من عنصرية تجاه الموالي [50]، وعلى الأرجح أنّ الوضّاح كان مستقرا ببلاد الشام إذ بفضل خدماته وولاءه للأسرة الأموية تحصّل على اقطاع هناك، حيث تنسب إليه المصادر الجغرافية قرية تعرف بالوضّاحية أيضا [51].

وقد بدأ اسم الوضّاح والفرقة التّي كان يشرف عليها يتردّد في الأخبار منذ أواخر القرن الأول هجري حين نجح في فتح حصن في بلاد الروم تذكره المصادر باسم حصن ابن عوف الذي يبدو أنه كان يقع في نواحي مدينة برجمة [52] غرب آسيا الصغرى، ثمّ لعب دورا حاسما في اخماد ثورة يزيد بن المهلب في العراق سنة 102هـ [53]، وآخر ذكر له في الأخبار كان سنة 107هـ عندما شارك في حملة الصائفة بقيادة معاوية بن هشام [54]، ويبدو أنّه توفي بعد هذا التاريخ بوقت قصير إذ ينقطع اسمه من التداول بعدها كما نجد أنّ قيادة قوات الوضّاحية آلت إلى ابنه عمرو، وتحت اشراف هذا الأخير استمرت تؤدّي دورها ضمن حملات الصوائف حيث كانت تشكل الطليعة التّي تتقدم الجيش الرئيسي للحملة، وجمعت عمرو بن الوضّاح بالروم مواجهات كثيرة مشهودة حقّق فيها انتصارات وفتوحات جليلة [55] من ذلك المشاركة في حصار مدينة نيقية Nicaea حاضرة إقليم بيثينيا مع معاوية ابن هشام أين أسندت إليه قيادة قوّات الطليعة التّي ضمّت خمسة عشر ألف مقاتل [56]، كما نجده لاحقا بجانب مروان بن محمد في حروبه ضدّ المعارضين في الشام أين كان يعدّ أحد أعوانه الرئيسيين وبرز بشكل خاص من خلال دوره في القضاء على حركات التمرّد في حمص ودمشق على رأس قوات الوضّاحية التي بلغ عدد أفرادها حينها ثلاثة آلاف فارس [57].

ويبدو من المنطقي أنّ هذه الفرقة المنتخبة التي تمّ تأسيسها من طرف الوضّاح وقادها ابنه عمرو من بعده كانت تتكوّن أساسا من الموالي، وحتّى إن كنّا نجهل تماما تركيبة العناصر التّي تضمّها، إلّا أنّنا نفترض بقليل من التحفظ أنّ البربر كانوا يشكلون قسما مهمّا فيها، وعلى الأرجح أنّ أفراد هذه الفرقة كانوا مسجّلين في الديوان ويتقاضون عطاء ثابتا مقابل خدماتهم كحال الكثير من الموالي في الشام والعراق خلال تلك الفترة [58].

لقد خدم نظام الولاء العرب ومشاريعهم في المنطقة، إذ بفضل تطبيقه على نطاق واسع تمّ استمالة رؤساء البربر وتكريس السيادة العربية في المغرب [59]، بالمقابل فقد سمح للكثير من البربر الاندماج في المنظومة العسكرية والاجتماعية للدولة الإسلامية، ولكن رغم كلّ ما قدّمه البربر من خدمات وتضحيات في سبيل نشر الاسلام وخدمة الدولة الأموية إلّا أنّ العديد منهم تعرّض للتهميش والإقصاء كحال طارق بن زياد، كما أنّ بعض ولّاة وعمّال الخلافة الأموية في المغرب الاسلامي لم يكونوا يعترفون لهم بحقّهم في المساواة ولا يعاملونهم بإنصاف في الكثير من الحالات فيميّزون بينهم وبين العرب ويحرمونهم نصيبهم من الغنائم [60]، كما كانوا يعاملونهم بازدراء كما فعل يزيد بن أبي مسلم حين قام بإرجاع حرسه من البربر، الذين كانوا يعدّون من موالي موسى بن نصير، إلى الرق ووشمهم في أيديهم [61]، وأراد عامل طنجة عمر بن عبد الله المرادي أن يخمّس مسلمي البربر هناك مدعيا أنهم فيء للمسلمين [62]، وقد كانت هذه التجاوزات والعنصرية التي يُعامل بها البربر عاملا محرضا لتمرّدهم ضد تسلّط العرب.

3. مشاركة البربر في الشؤون الإدارية

استطاع عدد من البربر بفضل مؤهّلاتهم وارتباطهم بأمراء البيت الأموي أو بالشخصيات العربية البارزة من خلال رابطة الولاء، أن يتبوؤوا مراكز مختلفة في الجهاز الإداري للدولة، ونسجّل في هذا المجال أخبارا متفرقة

ومقتضبة جدا في المصادر عن تولّي بعض الشخصيات من أصول بربرية لمسؤولية مناصب حساسة مثل الحجابة والكتابة والحرس، ورغم أهميّة التفاصيل المتعلّقة بدور البربر في هذه المناصب الحيويّة إلّا أنّ صمت المصادر عن ذكر أخبارهم يحرمنا من رسم صورة متكاملة عن الإرث الذي خلّفوه خلال فترة خدمتهم في الجهاز الإداري للخلافة.

1.3. الحجابة

تعتبر الحجابة من المسؤوليّات المهمّة في النظام الإداري للدولة باعتبارها الجهاز الذي يُنضّم عملية دخول الوافدين على الخليفة أو الوالي من رجال الدولة أو العامة، فهي كما يذكر القلقشندي: "**حفظ باب الخليفة والاستئذان للداخلين عليه**" [63]، والمسؤول عن هذا المنصب (الحاجب) هو الذي يتولّى الإذن للناس في الدخول على السلطان، وكان معاوية بن أبي سفيان أوّل من اتّخذ الحجّاب وتبعه في ذلك من جاء بعده من الخلفاء، ومنعوا الناس من الدخول عليهم إلّا بإذن [64]، وكانت دوافع معاوية للقيام بهذا الاجراء أمنية أساسا حيث كان يخشى من محاولات الاغتيال كالتّي تعرّض لها على يد الخوارج سنة 40هـ، وكذا تنظيمية حيث تمّ استحداث هذا المنصب لتنظيم توافد الناس على الخلفاء أو الولاة تفاديا لازدحامهم على أبوابهم وشغلهم عن النظر في شؤون الحكم والدولة [65].

وكان الحاجب يتولّى ادخال الناس على الخليفة وفق ترتيب محدّد يراعي فيه مكانتهم الاجتماعية وأهمية وظائفهم ومركزهم في الدولة [66]، لهذا كان يشترط فيه أن يكون عارفا بأنساب الناس ومراتبهم حتّى يستطيع ادخالهم لمقابلة الخليفة وفق هذه الشروط [67]. ولشدّة حساسية هذا المنصب كان بنو مروان وعمالهم على الأقاليم يتواصون بضرورة حسن اختيار وانتقاء المكلف بهذه الوظيفة حيث كانوا يرون أنّه يعكس صورة الخليفة أو الأمير عند الرعية فهو بمثابة وجهه ولسانه [68]، وكان من جملة ما أوصى به عبد الملك بن مروان أخيه عبد العزيز حين وجّهه إلى مصر أن يحسن اختيار حاجبه وكاتبه وجليسه [69]، ومن خلال وصايا الخلفاء والأمراء يمكن أن نتبيّن الشروط الضرورية التّي كانت يجب أن تتوفّر في الحاجب، فهو يجب أن يكون من خاصة وأفضل أهل الخليفة (أو الأمير) ومواليه [70]، عاقلا [71]، أمينا وصادقا لا يكتم عن سيده من حضر ببابه [72].

وطيلة العهد الأموي هيمن على هذا المنصب الموالي بشكل شبه كلي تقريبا منذ عهد معاوية بن أبي سفيان، وقد تولّت بعض الشخصيات البربرية هذه المسؤولية لأكثر من خليفة، وأوّل من حفظت لنا المصادر أسمائهم في هذا المنصب، مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز [73]، الذي كانت تتوفّر فيه صفات تتوافق مع منهج عمر القائم على الورع والتقيّد بتعاليم الإسلام، وما نعرفه عنه أنّه كان من سبي فتوحات بلاد المغرب وانتهى به الأمر مولى لعمر بن عبد العزيز، حيث استقر بمكة [74]، ومن خلال إشارات المصادر نعرف أنّه كان من خاصة المقربين من عمر عندما تولّى الامارة على المدينة وكان له تأثير قويّ عليه [75]، وربما كان حاجبه أيضا في تلك الفترة قبل الانتقال معه إلى دمشق لاحقا، وكان يدخل عليه عندما تولّى الخلافة في أي وقت [76].

وكان لهشام بن عبد الملك مولى من البربر يدعى غالب بن مسعود، جعله آذنا له [77] مسؤولا عن ادخال الناس لمقابلته من أجل قضاء حوائجهم، ويبدو أنّه كان ملازما لهشام حتّى أواخر عهده، وهو من تولّى تكفينه بعد موته [78]. وممّن اشتغل بالحجابة من البربر أيضا شخص يدعى داود بن عمرو بن سعيد كان مع خالد القسري في العراق [79]، وحتّى في ظل غياب أي تفاصيل في المصادر يمكن التأكيد أنّه على الأرجح كان من مواليه، استنادا إلى التقاليد التّي تقضي بإسناد الخلفاء والولّاة هذه المسؤولية إلى من كانوا يثقون فيهم من مواليهم المقرّبين، لكنّنا مع ذلك لا نستطيع أن نعرف أو حتّى أن نخمّن طبيعة رابطة الولاء التي كانت تجمعهما.

2.3. الحراسة

يتولّى هذا الجهاز مسؤولية الحراسة اليومية للخليفة أو الوالي، يضمّ أشخاصا أو مجموعات صغيرة من المقاتلين، وقد ظهر منذ عهد الرسول ﷺ لكن المصادر مع ذلك تعتبر معاوية بن أبي سفيان أول من اتّخذ الحرس، وهذا الاجراء من معاوية ربما جاء نتيجة محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها على يد الخوارج سنة 40هـ [80]، وقد أصبح هذا الجهاز يحظى بأهمية كبيرة في العهد الأموي نظرا لكثرة المعارضين والمتربّصين بالخليفة والأمراء في الأقاليم، ولا تكمن أهميّة هذا الجهاز في قوّته، حيث لم يكن يضمّ إلّا عددا محدودا من الجند مسلحين تسليحا خفيفا، فحسب ما هو متوفّر من معطيات كان هذا الجهاز في دمشق مثلا يضمّ حوالي ثلاثمائة حرسي فقط مع أسلحة بسيطة تقتصر على السيوف والحراب، وإنّما تكمن أهميّته في حساسية دوره الذي يتمثّل في تأمين السلامة الشخصية للخليفة في القصر والبلاط وفي بعض تنقلاته الميدانية [81].

ومن البربر الذين تقلّدوا هذا المنصب في العهد المرواني شخص يدعى سالم أبو الزعيزعة الذي كان في الأصل مولى لمروان بن الحكم وكاتبا له [82]، ثمّ صار بعد وفاة هذا الأخير ملازما لابنه عبد الملك بن مروان أين تحوّل إلى القيام بأدوار أمنية إذ يبدو دائم الحضور بجانب الخليفة في مجالسه، وقد عهد إليه عبد الملك قتل عمرو بن سعيد بن العاص [83] بعدما التمرّد الذي قام به ضدّه واستيلاءه على دمشق سنة 70هـ [84]، وكان أبو الزعيزعة محلّ ثقة عبد الملك حيث أسند إليه طيلة سنوات خلافته عدّة مناصب مهمّة، منها الإشراف على الحرس لسنوات عديدة [85]. وبعد وفاة الخليفة أصبح أبو الزعيزعة من موالي ابنه الوليد بن عبد الملك [86]، ولا نعلم له أي دور خلال هذه الفترة لكنه ظلّ مقربا من بني مروان وعلى اتصال بهم، وبقي حيا حتى أواخر القرن الأول هجري وأدرك خلافة سليمان بن عبد الملك [87].

ونجد أخبارا عن انخراط بعض البربر في هذا الجهاز بحكم ارتباطهم بالولاء لأمراء من البيت المرواني مثل مروان بن محمد الذي كان له مولى بربري في حرسه يدعى سليمان بن مسروح، ومن خلال ما تذكره المصادر نعرف أنه كان ملازما له في الحروب، ولعب دورا كبيرا في قتال الخوارج معه في الجزيرة أواخر العهد الأموي، واتّصف بشجاعة كبيرة في المعارك وله يرجع الفضل المباشر في القضاء على أحد قادة الخوارج يعرف باسم الخيبري [88].

أمّا على مستوى الأقاليم فيبدو أن هذا الجهاز كان يتكون حصريا من العناصر البربرية في القيروان، حيث تذكر المصادر أن حرس يزيد بن أبي مسلم والي المغرب كانوا من البربر ويعدّون في موالي موسى بن نصير [89]، ويذكر ابن عبد الحكم أنّهم تحديدا من عناصر البُتْر والأهم من هذا أنّهم اختصّوا في حراسة حتّى الولاة الذين سبقوا يزيد في المنصب [90]، ما يؤكّد أنّ تركيبة أفراد الحرس الخاصة بوالي افريقية في القيروان كانت دائما تقتصر على العناصر المحلّية من البربر، ويبدو أنّهم كانوا من موالي العتق حيث يشير اليعقوبي أنّ يزيد عندما قدم افريقية ردّهم إلى الرق ووسم أيديهم [91]، وقد دفعهم الشعور بالإهانة والمعاملة السيّئة التي لاقوها على يديه إلى التآمر عليه فقاموا بقتله سنة 102هـ [92]. وهذه الحادثة تبيّن بوضوح مدى أهمية وحساسية هذا الجهاز بالنسبة لرجال الدولة، ما يتطلّب العناية الفائقة في اختيار أفراده والمشرف عليه إذ يجب أن يكون قويا وخاصة صاحب ثقة وأمانة ليس فقط لأنّه مؤتمن على حياة الخليفة أو الوالي، ولكن أيضا لأنّه يستطيع الاطّلاع على المحادثات الخاصة والسريّة للخليفة (أو الوالي) بحكم ملازمته الدائمة له [93].

3.3. الكتابة

الكتابة لغة معناها الجمع، ومن ثمّ سمّي الخط كتابة لجمع الحروف بعضها إلى بعض، أمّا اصطلاحا فهي حسب تعريف القلقشندي: «صناعة روحانية تظهر بآلة جثمانية دالة على المراد بتوسط نظمها، فأما الروحانية فيها فهي الألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويُصوّر من ضمِّ بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، وأما الجثمانية فهي الخط الذي يخطّه القلم وتقيّد به تلك الصورة وتصير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة صورة محسوسة ظاهرة» [94]، وكتابة الإنشاء تحديدا المراد بها «تأليف الكلام وترتيب المعاني: من المكاتبات والولايات والمسامحات والاطلاقات ومناشير الاقطاعات والهدن والأمانات والأيمان وما في معنى ذلك ككتابة الحكم ونحوها» [95].

وقد أدّى توسّع إدارة الدولة في العهد الأموي وتعدّد مصالحها إلى استحداث تخصصات للكتّاب فكان هناك كاتب الرسائل، وكاتب الخراج، وكاتب الجند، وكاتب الشرطة [96]، وكاتب للقضاء والمظالم [97]، وكان كاتب الرسائل أرفع منزلة من بين كل هؤلاء الكتّاب لأنّ منصبه يسمح له بالاطّلاع على أسرار الدولة، ولأهميّة المنصب وحساسيته لم يكن الخلفاء يولّونه إلّا لأقربائهم وخاصتهم [98]، وكان الكاتب يتولّى الإشراف على مراسلات الخليفة فيطّلع على الرسائل الواردة عليه من ولايات وأقاليم الدولة، ويشرف على الرسائل التي يبعثها إلى عمّاله [99]، وبالتّالي كان يعتبر هو المشرف الفعلي على عملية اتصال الخليفة بالجهاز الإداري للدولة.

ومن يتولّى هذا المنصب يجب أن يكون متحكّما في اللغة والكتابة ملمّا بقواعدهما، وأن يكون من أرباب الكلام وأصحاب اللسان والبيان على قدر من البراعة والمهارة في تصريف الألفاظ وصياغة المعاني [100]، ذلك أنّ الخليفة أو الأمير قد يملي على الكاتب الأمر في العموم فيتدبّر هو صياغة محتواه وانتقاء الألفاظ الدالة على معناه بأسلوب بليغ واضح. كما يجب أن يتّصف الكاتب بالثقة والأمانة والإخلاص [101]، وأن يكون كتوما للسر،

حتّى أنّ الحجاج عندما أراد أن يُلحق محمد بن يزيد الأنصاري بعبد الملك بن مروان يتّخذه كاتبا ذكر هذه الميزة من جملة خصاله [102].

وقد اكتسبت هذه المهنة في العصور اللاحقة مكانة راقية وفضلا كبيرا حتّى عدّها المؤيد: «أشرف مناصب الدنيا بعد الخلافة، إليها ينتهي الفضل، وعندها تقف الرغبة» [103]، وحظي الكتّاب بمنزلة عظيمة فكان الزبير بن بكار يقول: «**الكتّاب ملوك وسائر الناس سوقة**» [104]، وإن كنّا ذكرنا هذين المثالين في فضل الكتابة فللدلالة على أهميّة هذا المنصب وشرفه ولإبراز مكانة من يتولّاه في المنظومة الإدارية للدولة.

تقلّد الموالي من البربر بدورهم هذا المنصب لفترة معتبرة، أشهرهم سالم أبو الزعيزعة الذي خدم ثلاث خلفاء على التوالي، وكان كما سبق الإشارة إليه مولى مروان بن الحكم وكاتبه [105]، وعلى الأرجح أنّه بدأ يكتب له خلال ولايته على المدينة في خلافة معاوية بن أبي سفيان، وربّما أيضا لاحقا عندما تقلّد الخلافة بدوره، ويذكر الطبري أنّ أبو الزعيزعة كتب لمعاوية بن يزيد أيضا، وعبد الملك بن مروان كذلك [106]، ونعلم على الأقل من مصادر أخرى أنّه كان مقربا من عبد الملك وتولّى حقا لسنوات عديدة كتابة الرسائل في خلافته [107]، ورغم السنوات الطويلة التّي أشرف فيها على ديوان الرسائل لأكثر من خليفة في فترة حسّاسة شهدت الكثير من الأحداث والحركية السياسية، لم تحفظ لنا المصادر للأسف أيّا من أعماله الأدبية إذ لم تصلنا أيّ رسالة منسوبة إليه يمكن من خلالها أن نتعرّف على أسلوبه وبلاغته في الكتابة. أمّا على مستوى الأقاليم فلا نعلم بوجود إلّا كاتب واحد آخر فقط من أصول بربرية يدعى داود بن عمرو بن سعيد تولّى ديوان الرسائل لخالد بن عبد الله القسري في العراق [108]، وكما أبو الزعيزعة لم تحفظ لنا المصادر أيّ أثر لرسائله هو أيضا.

وما يمكن ملاحظته أنّ الكثير من الوظائف السياسية الحسّاسة كالحجابة والحراسة والكتابة، كانت تقريبا مقصورة على الموالي في العصر الأموي، وهذا راجع أساسا إلى عدم ارتباطهم بأي من العصبيات العربية والتّي يمكن أن تؤثّر سلبا على أدائهم وولائهم، كما أنّ الأمانة والولاء المطلق الذي كان يميّز سلوك الموالي اتجاه أسيادهم كان من العوامل التّي شجّعت الخلفاء والولّاة على الاستعانة بهم في هذه الوظائف دون العرب، حتّى أنّ زياد بن أبيه كتب إلى معاوية ينصحه باتّخاذ الموالي لِما فيهم من خصال جيّدة عديدة ذكر منها أنّهم: أنصر وأغفر وأشكر [109].

4. اسهامات البربر في الحياة العلمية والأدبية

كان للبربر اسهامات جليلة في الجانب العلمي والأدبي خلال العهد الأموي حيث برز من بينهم الشعراء والفقهاء والزهّاد ممّن كان لهم تقدير كبير في المجتمع الإسلامي. من أهم الشخصيات البربرية الذين كان لهم دور مؤثر في الآداب العربية خلال القرن الأول هجري، عكرمة أبو عبد الله مولى ابن عباس، الذي نملك عن حياته تفاصيلا أكثر من أيّ أحد آخر من البربر في المجتمع العربي، وتذكر المصادر أنّه توفّي بالمدينة على الأرجح سنة 105هـ وقد بلغ الثمانين من عمره [110]، وإذا ما أخذنا بعين الاعتبار حقيقة صعوبة تقدير عمره الحقيقي عند وفاته، نفترض أنّه ولد في الغالب خلال العقد الثاني هجري وتمّ سبيه في خلافة عثمان بن عفان

وهو لم يزل صبيا ربما دون العاشرة، وقد كانت الفتوح الاسلامية في هذه الفترة بلغت ما بين برقة وافريقية من بلاد البربر ما يجعلنا نعتقد أنّه ينتمي إلى السكان الذين كانوا يستوطنون هذه المنطقة، فهو إذا إمّا أن يكون من قبيلة لواتة التّي صالحت عمرو بن العاص على إمكانية دفع قسم من أبنائهم للمسلمين مقابل الجزية المترتّبة عليهم [111]، أو أن يكون من سبي حملات المسلمين التّي استهدفت المنطقة حتّى تخوم افريقية في الفترة بين فتح برقة سنة 20هـ وحملة عبد الله بن سرح الكبرى أواخر العقد الثالث [112] حيث دأب عمرو بن العاص وعبد الله بن سعد من بعده على ارسال فرق محدودة العدد سريعة الحركة (جرائد خيل) للإغارة من أجل الغنائم [113].

وبعد استرقاقه استقرّ به الحال في البصرة أوّل أمره مملوكا لأحد العرب هناك يدعى حصين بن أبي الحر العنبري، الذي وهبه بدوره لعبد الله بن عباس حين قدم إلى البصرة واليا عليها من طرف علي بن أبي طالب [114]، سنة 36هـ، وهو الذي أطلق عليه اسم عكرمة [115]، وربّما كان حينها قد تجاوز العاشرة من عمره، ثمّ أخذه ابن عباس معه بعدها إلى المدينة أين بدأ يعلّمه القرآن والسنة والفقه، كما أخذ العلم هناك أيضا عن مجموعة من الصحابة مثل أبو هريرة، وعبد الله بن عمرو بن العاص، والحسين بن علي، وعائشة [116]، حتّى تمكّن من العلوم الشرعية فكان يُفتي الناس في حياة سيده ابن عباس بتشجيع منه [117]، ولم يكن في مواليه من هو أغزر منه علما [118]، وبعد وفاة ابن عباس أصبح عكرمة ملكا لعلي بن عبد الله بن عباس فباعه إلى خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار ثم تراجع عن ذلك وأعتقه [119]، والمبلغ الذي دفعه حفيد معاوية من أجل عكرمة يعكس قيمته العلمية والتقدير الكبير الذي كان يحظى به، وكانت له رحلات كثيرة زار فيها مناطق عديدة بين المشرق والمغرب، مثل مصر وافريقية والمدائن ومرو وجرجان وسمرقند واليمن، اتّصل فيها بالأمراء والولّاة طلبا للصلة والجوائز [120] وصنّفه محمد بن سعد ضمن الطبقة الثانية من أهل المدينة من التابعين وأثنى عليه وعلى سعة علمه وفقهه [121]، وكان فقيه العراق سعيد بن جبير يعدّه أعلم منه [122]، واشتهر عكرمة بسعة عمله ومعارفه في التاريخ والقرآن حتّى كان يعدّ أعلم الناس بالمغازي والسيرة والتفسير [123].

ومن البربر الذين اشتهروا في مجال الأدب، سابق بن عبد الله البربري الشاعر الزاهد [124]، ورغم أنّنا لا نعلم شيئا عن نشأته وخلفيّته التّي جاء منها بما في ذلك انتماءه القبلي وموطنه ببلاد المغرب، كما تبقى طريقة وتاريخ انتقاله إلى بلاد الخلافة مجهولة تماما، إلّا أنّنا مع ذلك نعرف بعض تفاصيل حياته وأخباره في المشرق، فقد كان مولى للوليد بن عبد الملك [125]، وفي بعض الروايات مولى عمر بن عبد العزيز [126]، ولا نستطيع أن نتبيّن هنا للأسف بالتحديد الوضعية الدقيقة لرابطة الولاء التّي جمعته بسيده، لكن ارتباطه بالبيت الأموي واحتلاله مركزا محترما في المنظومة الإدارية باعتباره قاضيا ربّما يمثل إشارة على أنّه كان مولى عتق، ومن خلال قائمة الرواة الذين نقل عنهم [127] يمكن أن نلاحظ تنوع مصادره وأيضا مجالات معارفه، كما نستنتج أنّه تنقّل بين أهم الحواضر الإسلامية في طلب العلم وحضور مجالس الفقهاء والمحدّثين، حيث يروي عن شيوخ من المدينة، ومكة، والبصرة، والكوفة، بالإضافة إلى الشام، التّي تذكر الأخبار أنّه أقام بها مدّة طويلة [128]، لكنّه اشتهر باستقراره في الرقة فكان ينسب إليها (يعرف بسابق الرقّي)، واشتغل هناك بالقضاء والإمامة [129]، ما يعكس منزلته

الاجتماعية والعلمية حيث لم يكن يتولّى الإمامة والقضاء في العهد الأموي غالبا إلّا العرب، الذين كانوا يردّدون أنّه: لا يصلح القضاء إلّا لعربي [130]، وقد كان سابق فقيها زاهدا فعُرف بذلك حتّى أنّ عمر بن عبد العزيز الذي اشتهر بورعه وتواضعه كتب إليه يطلب منه أن يعظه، وقد وفد عليه في خلافته فأنشده شعرا في الزهد [131]، ومع دوره في المجال الأدبي والديني كان مقبلا على الجهاد أيضا، وتسجّل المصادر مشاركته في حملة الصائفة ضدّ الروم أواخر القرن الأول هجري في خلافة سليمان بن عبد الملك [132]، وكان يجيد نظم الشعر وله أبيات وقصائد في الوعظ والحكمة والزهد حسنة [133].

في الأخير نريد الإشارة إلى أنّ المصادر سجّلت العديد من أسماء العناصر البربرية من الموالي دون أن تحدّد للأسف أي دور لهم في الحياة العامة، رغم أنّ ذلك لا يعني أبدا أنّهم كانوا على هامش الأحداث أو خاملين، إذ أنّ الكثير منهم كان مرتبطا بالبيت الأموي، لكن ربّما هذا راجع إلى بقاء معظمهم في بلاد المغرب وعدم انتقالهم إلى المشرق باعتبارهم موالي حلف في الغالب وبالتّالي ليسوا ملزمين بالبقاء مع أسيادهم من العرب، ما جعلهم بمعزل عن الاتصال بمراكز اتّخاذ القرار والاستفادة من رابطة الولاء لتقلّد المناصب والولايات، وما يمكن أن يدعم هذا الطرح أنّ الكثير منهم كان له دور فاعل لاحقا في الدولة الأموية بالأندلس، من هؤلاء ميمون بن سعيد الذي كان مولى الوليد بن عبد الملك، ورغم ارتباطه بأحد الخلفاء الأمويين إلّا أنّنا لا نعلم له أيّ دور في الحياة العامة أو جهاز الدولة ولم تُذكر له أيّ مسؤولية، إلّا أنّنا نعرف أنّه بقي حيّا إلى ما بعد سقوط الدولة الأموية، حيث رافق بعدها عبد الرحمن بن معاوية الداخل إلى الأندلس أين تقلّد فيها منصب والي طليطلة [134].

وهناك أيضا أبان بن عبيد مولى معاوية بن أبي سفيان، أهدي إليه من سبي البربر [135]، وعليه فإنّ ولاءه في الأصل ولاء رق ولا نعلم إن كان معاوية قد أعتقه لاحقا أم لا، وفي حين لم تسجّل له المصادر أيّ دور في الشؤون العامة إلّا أنّ من جاء من نسله استمرّ في خدمة الأمويين حيث نجد أحد أحفاده (هشام بن عبد القادر) يقود جيشا لإخماد تمرّد للبربر في الأندلس ضدّ هشام بن عبد الرحمن الداخل [136].

ومنهم كذلك وانسوس بن يربوع المكناسي مولى سليمان بن عبد الملك [137]، وهو من قلائل الموالي البربر الذين تذكرهم المصادر بنسبهم الأصلي حيث ينتمي لقبيلة مكناسة، ما يرجّح أنّ ولاءه كان ولاء حلف، وما يدعم هذا الاستنتاج أنّ وانسوس كان ذا مكانة مقتدرة عند قومه ومعدود من رؤسائهم [138]، ولا نعلم له أيّ دور خلال العهد الأموي إلّا قيامه بإيواء عبد الرحمن بن معاوية مستترا عنده مدّة من الزمن قبل عبوره للأندلس [139]، كما أنّ عقبه كان لهم دور بارز في تاريخ الأندلس لاحقا [140].

ونجد أيضا شخص يدعى سلاس ينتمي إلى بربر مصمودة، كان مولى يزيد بن عامر الليثي الكناني بعد أن أسلم على يديه [141]، وذكر ابن خلكان أنّ اسمه وسلاس أو وسلاسن بن شمّال بن منغايا من قبيلة مصمودة وينتسب إلى بني ليث بالولاء [142]، في حين يذكر صاحب كتاب مفاخر البربر الذي عاش في المغرب وألّف كتابه مطلع خلال القرن الثامن هجري أنّ اسمه وسلاس بن شملال المصمودي الأصادي، وأنّ شملال هو الذي أسلم على يدي يزيد بن عامر الليثي فهو ينتمي إليه بالحلف، وكان ممّن شهد فتح الأندلس مع طارق بن زياد [143].

ونعلم أيضا بعض الأخبار عن حالة أخرى تخصّ أحد الأشخاص من مغراوة يدعى خزر بن خفص بن صولات أسلم على يد عثمان بن عفان [144]، واتصاله بالخليفة واسلامه على يديه يوحي بأنّه ربّما كان من زعماء البربر وعليه فإن العلاقة التي جمعته بعثمان هي ولاء الحلف، ولا نعلم شيئا عن دور يكون قد اضطلع به هذا الشخص، لكن يبدو أنّه وأبناءه كانوا فعلا في خدمة الخلافة وأنّ مكانتهم كانت معتبرة بين قومهم حيث يذكر صاحب كتاب مفاخر البربر أنّ بني أمية كانوا يقدّمون بني خزر على قبائل البربر [145].

خاتمة

استطاع البربر بعد اسلامهم الاندماج واثبات حضورهم في المجتمع الإسلامي، فبفضل مؤهلاتهم وكذا من خلال نظام الولاء تمكّن العديد منهم، خاصة أولئك الذين كانوا موالي لأفراد من البيت الأموي أو أشراف العرب، من البروز ولعب دور مشهود في الحياة العامة، حيث سجّلت المصادر تبوأ شخصيات بربرية كثيرة من الموالي مراكز محترمة ضمن المنظومة العسكرية والإدارية للدولة الإسلامية، بل وحتّى المساهمة في إثراء الحركية والحياة الفكرية والعلمية فيها، ورغم أنّ الكثير من التفاصيل تعوزنا حول وضعية الولاء التّي كان عليها معظم هؤلاء البربر ولا يمكن معرفتها إلّا استنتاجا، كما أنّ المعلومات تبقى شحيحة عن دور الكثير منهم حيث لم تحفظ المصادر منجزاتهم، إلّا أنّ طبيعة المراكز والوظائف التي تقلّدوها مثل قيادة الجيوش، والإشراف على مناصب حسّاسة في الجهاز الإداري للدولة تتصل مباشرة بأمن الخلفاء والولّاة وأسرار مجالسهم، أو التميّز الذي أبداه البعض منهم في المجالين الديني والأدبي، توحي بفعالية اسهاماتهم في مختلف مجالات الحياة العامة ضمن الدولة والمجتمع الإسلاميين حتّى سقوط الدولة الأموية.

الهوامش:

1 – ابن منظور جمال الدين: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، م 15، ص 408–409–411.

2 – محمد حقي: **البربر في الأندلس، دراسة لتاريخ مجموعة إثنية من الفتح إلى سقوط الخلافة الأموية (92هـ/711م–422هـ/1031م)**، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2001، ص 115.

3 – محمد الطيب النجار: **الموالي في العصر الأموي**، دار النيل للطباعة، ط 1، 1949، ص 14.

4 – أسماء عبد الله غني العزاوي: **أثر الموالي في لحياة الفكرية خلال العصر الأموي (132–41هـ)**، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق–دبي، الإصدار الأول، 2017، ص 32.

5 – المرجع نفسه، ص 37–38–39.

6 – المرجع نفسه، ص 40.

7 – محمد الطيب النجار: المرجع السابق، ص 14 ؛ ابن منظور: المصدر السابق، ص 408؛ أسماء العزاوي: المرجع السابق، ص 41.

8 – جرجي زيدان: **تاريخ التمدن الاسلامي**، دار مكتبة الحياة، بيروت، ط 2، ج 2، ص 329؛ حسين الحاج حسن: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1992، ص 281.

9 – أسماء العزاوي: المرجع السابق، ص 42–43؛ محمد الطيب النجار: المرجع السابق، ص 14؛ ابن منظور: المصدر السابق، ص 408.

10 – عبد العزيز الدوري: **الجذور التاريخية للشعوبية**، در الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط 3، 1981، ص 16.

11 – جرجي زيدان: المرجع السابق، ج 2، ص 329.

12 – أسماء العزاوي: المرجع السابق، ص 44.

13 – محمد عبد الحي محمد شعبان: **صدر الإسلام والدولة الأموية 600–750م (132هـ)**، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 168.

14 – ابن الأثير عز الدين: **الكامل في التاريخ**، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1987، م 3، ص 320 ؛ النويري شهاب الدين: **نهاية الأرب في فنون الأدب**، تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 2004، ج 24، ص 11.

15 – النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 11.

16 – المالكي عبد الله: **رياض النفوس**، تحقيق: بشير البكوش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 2، 1994، ج 1، ص 45–46.

17 –ابن عبد الحكم، عبد الرحمن: **فتوح مصر وأخبارها**، تحقيق: محمد الحجيري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1996، ص 339؛ الرقيق القيرواني: **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط 1، 1994، ص 49؛ المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 54.

حسب المؤرخين والنسابة فإن البتر هم أحد قسمي شعب البربر، وينحدرون من جد مشترك هو مادغيس (ماذغيس) الذي كان يلقب بالأبتر فعرف نسله بالبتر. أنظر مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط 1، 2005، ص 158؛ ابن خلدون عبد الرحمن: **في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ج 6، ص 117.

18 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 338.

19 – البلاذري، أحمد بن يحيى: **فتوح البلدان وأحكامها**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1992، ص 262.

20 – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 49–50؛ المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 56؛ ابن الأثير: المصدر السابق، م 4، ص 136 ؛ النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 20؛ ابن عذاري أحمد بن محمد: **البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب**، تحقيق: بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2013، م 1، ص 65.

21 – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 52.

22 – محمد حقي: المرجع السابق، ص 157.

23 – تختلف المصادر في الاتفاق على اسمه، ورغم أن معظمها يذكره تحت اسم طارق بن زياد (البلاذري: المصدر السابق، ص 269؛ الطبري محمد بن جرير: **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر، ط 2، 1969، ج 6، ص 468؛ المسعودي علي بن الحسن: **أخبار الزمان**، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1996، ص 97 ؛ المقدسي المطهر بن طاهر: **البدء والتاريخ**، مكتبة الثقافة الدينية، د. ط، د. ت، ج 4، ص 93 ؛ ابن الجوزي أبي الفرج عبد الرحمن: **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، راجعه وصححه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1992، ج 6، ص 303؛ ابن الأثير: المصدر السابق، م 4، ص 264؛ ابن القوطية: **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط 2، 1989، ص 29؛ القيرواني: المصدر السابق، ص 52؛ ابن عساكر علي بن الحسن: **تاريخ دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج 24، ص 418؛ ابن عذاري: المصدر السابق، ج 1، ص 71 ؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، تحقيق: عبد القادر بوباية، دار الكتب لعلمية، بيروت، ط 1، 2007، ص 153؛ المقرّي أحمد بن محمد: **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق: احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968، م 1، ص 230؛ ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 150؛ الصفدي صلاح الدين خليل: **الوافي بالوفيات**، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفي، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط 1، 2000، ج 16، ص 220؛ ابن كثير، عماد الدين: **البداية والنهاية**، تحقيق: عبد الله

بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والاعلان، مصر، ط 1، 1998، ج 12، ص 436) إلّا أنّ منها من يذكره تحت اسم طارق بن عمرو (ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 344؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 24، ص 41؛ المقرّي: المصدر السابق، م 1، ص 230) ، وأيضا طارق بن عبد الله بن ونموا (الإدريسي محمد بن محمد: **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002، م 2، ص 539).

واختلف أيضا في أصله، ورغم أنّ معظم المصادر تكاد تتّفق على انتماءه البربري، إلّا أنّ منها من يجعله عربيا من الصدف (المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 254) أو من بني ليث فرع كنانة (ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 150) في حين تذهب روايات أخرى لاعتباره فارسيا من همدان (ابن عذاري: المصدر السابق، م 2، ص 10؛ الحميري محمد بن عبد المنعم: **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تحقيق: احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت، ط 2، 1984، ص 35؛ مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري –القاهرة–، دار الكتاب اللبناني –بيروت–، ط 2، 1989، ص 17).

وحتّى المصادر التّي تجمع على أصله البربري لا تتّفق بدورها على انتماءه بالولاء وإن كان معظمها يذكر أنّه مولى موسى بن نصير، لكن فيها من يذكر أنّه كان مولى للوليد بن عبد الملك (ابن عساكر: المصدر السابق، ج 24، ص 418)، بينما يقول البعض أنّه مولى الصدف (ابن عساكر: المصدر نفسه، ج 24، ص 418؛ المقرّي: المصدر السابق، م 1، ص 239؛ الحميري: المصدر السابق، ص 39؛ مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، ص 17).

24 – يذكر نسبه كالآتي: طارِقُ بن زِياد بن عبد الله بن رَفْهُو بن وَرْفَجُوم بن ينزغاسن بن وَلْهاص بن يَطُّوفَتْ بن نَفْزاو. ابن عذاري: المصدر السابق، م 2، ص 10.

25 – مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 153.

26 – الإدريسي: المصدر السابق، مج 2، ص 539.

27 – محمد حقي: المرجع السابق، ص 162.

28 – ابن عذاري: المصدر السابق، م 2، ص 10.

29 – المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 230؛ مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، ص 14–15.

30 – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 14.

31 – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 52.

تختلف المصادر في تاريخ ولاية طارق بن زياد على طنجة، فابن عذاري يذكر أنّ ذلك كان سنة 85هـ (م 1، ص 71)، في حين توحي رواية صاحب أخبار مجموعة أنّ ولايته كانت سنة 89هـ (ص 15).

32 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 345؛ ابن عذاري: المصدر السابق، م 2، ص 11.

33 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق ، ص 348؛ الحميدي محمد بن فتوح: **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، حققه وعلق عليه بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 1، 2008، ص 24؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 233؛ الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 54؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 155؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 24، ص 419.

34 – محمد حقي: المرجع السابق، ص 165.

35 – ابن عذاري: المصدر السابق، مج 2، ص 14؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 249.

36 – ابن عذاري: المصدر السابق، مج 2، ص 14؛ مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، ص 19.

37 – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 54؛ ابن عذاري: المصدر السابق، م 2، ص 15 / المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 260–261.

38 – ابن عذاري: المصدر السابق، مج 2، ص 17؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 261–263.

39 – مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 155؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 261.

40 – مؤلف مجهول: المصدر السابق، ص 156؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 231.

41 – ابن القوطية: المصدر السابق، ص 36؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 234.

42 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 354.

43 – الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص 59؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 24، ص 418.

44 – المقرّي: المصدر السابق، مج 3، ص 13.

45 – ابن عذاري: المصدر السابق، ج 2، ص 10؛ المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 229–230؛ مؤلف مجهول: **تاريخ الأندلس**، ص 153؛ مؤلف مجهول: **أخبار مجموعة**، ص 16–17.

46 – المقرّي: المصدر السابق، مج 1، ص 253.

47 – نجدت خماش: **الشام في صدر الاسلام من الفتح حتى سقوط خلافة بني أمية**، دراسة للأوضاع الاجتماعية والإدارية، دار طلاس، دمشق، ط 1، 1987ص 348.

48 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 46، ص 445.

49 – ياقوت الحموي، شهاب الدين: **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، د. ط، 1977، م 5، ص 378–379.

50 – نجدت خماش: المرجع السابق، ص 348.

51 – ياقوت الحموي: المصدر السابق، م 5، ص 378.

52 – خليفة بن خياط العصفري: **تاريخ خليفة**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض، ط 2، 1985، ص 314.

53 – الطبري: المصدر السابق، ج 6، ص 595.

54 – خليفة: المصدر السابق، ص 337.

55 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 46، ص 445–446.

56 – Theophanes: **The Chronicle of Theophanes** Confessor, Byzantine and Near Eastern History AD 284–813, Translated with introduction and commentary by Cyrill Mango and Roger Scott. Clarendon press. Oxford 1997p 560 / Nikephoros: **Short History**, Translation and Commentary by Cyrill Mango, Dumbarton Oaks, Washington D.C. 1990p 131.

57 – خليفة: المصدر السابق، ص 374؛ الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 313.

58 – نجدت خماش: المرجع السابق، ص 119–125.

59 – عبد الله العروي: **مجمل تاريخ المغرب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – بيروت، ط 5، 1996، ص 132.

60 – الطبري: المصدر السابق، ج 4، ص 254؛ ابن الأثير: المصدر السابق، م 2، ص 485.

61 – اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب: **تاريخ اليعقوبي**، تحقيق: عبد الأمير مهنا، شركة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط 1، 2010، ج 2، ص 241.

62 – ابن الأثير: المصدر السابق، مج 4، ص 416.

يعتقد الأستاذ عبد الله العروي أنّ المقصود بهذا الإجراء هو فرض ضريبة على البربر تقدر بخمس الإنتاج (**مجمل تاريخ المغرب**، ص 145).

63 – القلقشندي أحمد: **صبح الأعشى في كتابة الإنشا**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922، ج 3، ص 277.

64 – حسين الحاج حسن: **حضارة العرب في صدر الإسلام**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط 1، 1992، ص 169.

65 – حسن إبراهيم حسن: **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي**، دار الجيل –بيروت–، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة، ط 14، 1996، ج 1، ص 360.

66 – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج 1، ص 361؛ فاروق عمر فوزي: **الخلافة الأموية دراسة لأول أسرة حاكمة في الإسلام 41-132هـ/661-750م**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط 1، 2009، ص 532.

67 – فاروق عمر فوزي: المرجع نفسه، ص 532.

68 –البلاذري، أحمد بن يحيى: **أنساب الأشراف**، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 1996، ج 7، ص 210؛ الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 35؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 21، ص 246.

69 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 36، ص 354.

70 – البلاذري: المصدر السابق، ج 7، ص 210؛ الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 35.

71 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 21، ص 246.

72 – البلاذري: المصدر السابق، ج 6، ص 258.

73 – المسعودي علي بن الحسين: **التنبيه والإشراف**، مطبعة بريل، ليدن، 1893، ص 320.

74 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 57، ص 374.

75 – المصدر نفسه، ص 375-376.

76 – الزهري، محمد بن سعد: **كتاب الطبقات الكبير**، تحقيق علي محمد عمر، الشركة الدولية للطباعة، الجيزة، ط 1، 2001، ج 7، ص 358.

77 – ابن عبد ربه أحمد بن محمد: **العقد الفريد**، تحقيق: مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1983، ج 5، ص 191 ؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 53، ص 38.

78 – ابن عساكر: المصدر نفسه، ج 47، ص 286.

79 – الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 148؛ الجهشياري، محمد بن عبدوس: **كتاب الوزراء والكتّاب**، قدّم له حسن الزين، دار الفكر الحديث، بيروت، 1988، ص 45.

80 – بثينة بن حسين: **الدولة الأموية ومقوماتها الإيديولوجية والاجتماعية**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، ط 1؛ ص 87-88 ؛ نجدت خماش: المرجع السابق، ص 245.

81 – بثينة بن حسين: المرجع نفسه، ص 89-90.

82 – الجهشياري: المصدر السابق، ص 27؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 88.

83 – البلاذري: المصدر السابق، ج 6، ص 59.

84 – خليفة: المصدر السابق، ص 266 ؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص 188.

85 – خليفة: المصدر السابق، ص 299 ؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 88.

86 – البلاذري: أنساب الأشراف، ج 4، ص 104.

87 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 90.

88 – البلاذري: أنساب الأشراف، ج 9، ص 268.

89 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 357 ؛ اليعقوبي: المصدر السابق، ج 2، ص 241.

90 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 358.

91 – اليعقوبي: المصدر السابق، ج 2، ص 241.

92 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 358؛ البلاذري: فتوح البلدان، ص 270.

93 – بثينة بن حسين: المرجع السابق، ص 89.

94 – القلقشندي: المصدر السابق، ج 1، ص 51.

95 – المصدر نفسه، ص 54.

96 – حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج 1، ص 360.

97 – نجدت خماش: المرجع السابق، ص 236.

98 – حسين الحاج حسن: المرجع السابق، ص 172 / حسن إبراهيم حسن: المرجع السابق، ج 1، ص 360 / إبراهيم زعرو وعلي أحمد: **تاريخ العصر الأموي السياسي والحضاري**، منشورات جامعة دمشق، 1996، ص 137.

99 – نجدت خماش: المرجع السابق، ص 236 ؛ السيد عبد العزيز سالم: **تاريخ الدولة العربية**، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، د. ط، د. ت، ص 409 ؛ إبراهيم زعرو وعلي أحمد: المرجع السابق، ص 137 ؛ حسان حلاق: **دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط 2، 1999، ص 37.

100 – نجدت خماش: المرجع السابق، ص 236–237.

101 – أسماء عبد الله غني العزاوي: المرجع السابق، ص 352.

102 – البلاذري: **أنساب الأشراف**، ج 7، ص 255 ؛ الطبري: المصدر السابق، ج 6، ص 414–415.

103 – القلقشندي: المصدر السابق، ج 1، ص 37.

104 – القلقشندي: المصدر نفسه، ج 1، ص 43.

105 – الجهشياري، المصدر السابق، ص 27 ؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 88.

106 – الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 180.

107 – خليفة: المصدر السابق، ص 299؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 88.

108 – الطبري: المصدر السابق، ج 7، ص 148؛ الجهشياري: المصدر السابق، ص 45.

109 – البلاذري: المصدر السابق، ج 5، ص 36.

110 – ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 288 ؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 80؛ المزّي جمال الدين: **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، م 20، ص 291 / الذهبي شمس الدين: **سير أعلام النبلاء**، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج 5، 34.

111 – خليفة: المصدر السابق، ص 144؛ البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 261؛ ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 294.

112 – البلاذري: **فتوح البلدان**، ص 263.

113 – ابن عبد الحكم: المصدر السابق، ص 311–312.

114 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 76؛ المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 265.

115 – ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 283.

116 – ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 288؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 81؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 13.

117 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 82–83؛ المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 269؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 14.

118 – المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 289؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 31.

119 – ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 282–283؛ ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 84؛ المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 271؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 16.

120 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 79–81–84–86–95؛ المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 270–277–278–285؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 15–20–21–27.

121 – ابن سعد: المصدر السابق، ج 7، ص 288؛ ابن عساكر: المصدر نفسه، ج 41، ص 76.

122 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، ص 87.

123 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 41، 85–88؛ المزّي: المصدر السابق، م 20، ص 272؛ الذهبي: المصدر السابق، ج 5، ص 16–17.

124 – الصفدي: المصدر السابق، ج 15، ص 44.

125 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 7؛ ابن العديم كمال الدين: **بغية الطلب في تاريخ حلب**، تحقيق: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، د. ت، ج 9، ص 4063.

126 – ابن العديم: المصدر السابق، ج 9، ص 4063.

127 – أشهرهم: ربيعة بن عبد الرحمن، وداود بن أبي هند، ومكحول، وشعبة بن الحجاج، وعبد الله بن سعيد بن أبي هند، مطرف بن طريف، والعلاء بن عبد الرحمن، عمرو بن أبي عمرو، وإسماعيل بن أمية، وإسماعيل بن أبي خالد، وعلي بن بذيمة، وعاصم بن كليب، وسعيد بن سمعان.

ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 3؛ ابن العديم: المصدر نفسه، ج 9، ص 4063.

128 – ابن العديم: المصدر السابق، ج 9، ص 4068.

129 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 8 ؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج 9، ص 4068.

130 – المبرّد محمد بن يزيد: **الكامل**، تحقيق محمد أحمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 3، 1997، ج 2، ص 622.

131 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 3–9 ؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج 9، ص 4070–4074.

132 – ابن العديم: المصدر نفسه، ج 9، ص 4063.

133 – ابن عساكر: المصدر السابق، ج 20، ص 7–8–9–10–12؛ ابن العديم: المصدر نفسه، ج 9، ص 4071–4073–4074–4076.

134 – ابن الأبار أبي عبد الله محمد بن عبد الله: **التكملة لكتاب الصلة**، تحقيق: عبد السلام الهراس، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1995، ج 1، 255.

135 – ابن سعيد المغربي: **المُغرب في حُلى المغرب**، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط 4، ج 1، ص 97.

136 – ابن خلدون: المصدر السابق، ج 4، ص 160.

137 – ابن الأبار: المصدر السابق، ج 4، ص 244.

138 – المقرّي: المصدر السابق، م 1، ص 333.

139 – المصدر نفسه، ص 333.

140 – ابن سعيد المغربي: المصدر السابق، ج 1، ص 362.

141 – ابن الأبار: المصدر السابق، ج 4، ص 160.

142 – ابن خلكان، شمس الدين: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1978، م 6، ص 143.

143 – مؤلف مجهول: **مفاخر البربر**، ص 153.

144 – المصدر نفسه، ص 138.

يقدّم ابن خلدون في هذا الصدد رواية مغايرة، حيث يذكر أنّ المسلمين بعد انتصارهم على الروم في معركة سبيطلة، شنّوا الغارات على البربر في المنطقة فأسروا أحد سادتهم يدعى وزمار بن صقلاب "جد بني خزر" أمير مغراوة وسيد زناتة، وأتوا به عثمان بن عفان فأطلقه وأقرّ له سيادته على قومه بعد أن أسلم على يديه. المبتدأ والخبر، ج 6، ص 141.

145 – مؤلف مجهول: **مفاخر البربر** ، ص 138.